التي انعم بها على العبد من رزقه وعافيته وصحته والتوسعة عليه في دنياه فهذا حق يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطي أفضل مما أخذ رواه ابن ماجه فان حمدك لولي الحمد نعمة أخرى هي أفضل وانفع له واجدى عائدة من النعمة العاجلة فان افضل النعم واجبها على الاطلاق نعمة معرفته تعالى وحمده وطاعته وان اريد ان نعمل العبد يكون كفوا لنعم الله ومساويا لها بحيث يكون مكافئا للنعم عليه وما قام به من الحمد ثمنا لنعمه وقياما بشكرها انعم عليه منه وتوفية له فهذا من اعمل المحال فان العبد لو اقدره الله على عبادة الثقلين لم يقم بشكر أدنى [نعمه] عليه بل الامر كما روى الامام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن قال ثنا الربيع ابن صبيح عن الحسن قال قال داود النبي لو ان لكل شعرة مني لسانين تسبحانك الليل والنهار والدهر كله ما قضيت حق نعمة واحدة قال الامام أحمد وحدثنا عبد الرحمن قال حدثنا جابر ابن يزيد عن المغيرة ابن شعبة قال لما أنزل الله على داود اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور قال يا رب كيف اطيق شكرا وانت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر ثم تزيدني نعمة بعد نعمة فالنعمة منك يا رب والشكر منك فكيف اطيق شكرك قال الآن عرفتني يا داود. فمن ذا الذي يقوم بشكر ربه الذي يستحقه سبحانه فضلا عن أن يكافيه ومن هاهنا يعرف قدر الحمد الذي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا وفضله على الحديث المسؤل عنه ونحن نشرح الحديث ثم نعود الى المقصود فنقول وبالله التوفيق روي قوله غير مكفي بوجهين الرفع وعدمه وخطئت رواية الرفع فانه اسم مفعول من الكفاية فوجهه غير مكفي لكرمي ومقتضي أو من المكافاة فالمفعول منه مكافا كرامي من رماه ومساعا من ساعاه أو من المقرو من قراه أو من كفاه يكفيه فمفعوله

مكفي كمرمي من رميت والصواب أنه بغير الهمز واختلف هل ذلك وصف للطعام وعائد اليه او هو حال من اسم الله فيكون وصفا في المعنى على قولين فقال ابن قرقول في مطالعه المراد بهذا اكله الطعام واليه يعود الضمير قال الجدلي المكفي الانا المقلوب للاستغناء عنه كما قال مستغنى وغير مكفور غير يجحود به نعمة الله فيه بل مشكور غير مستور الاعتراف بها والحمد عليها والقول الثاني ان ذلك عائد الى الله سبحانه قال وذهب الخطابي الى ان المراد بهذا الدعاء كله الباري تعالى وان الضمير يعود اليه وأن معنى قوله غير مكفي أي انه يطعم ولا يطعم كأنه هاهنا من الكناية والى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحرف انه تعالى مستغن عن معين وظهير قال ومعنى قوله ولا مودع اي غير متروك الطلب اليه والرغبة له وهو معنى المستغنى عنه وينتصب ربنا على هذا الاختصاص والمدح أو تأكيدا كأنه قال يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا ومن رفع قطع وجعله خبرا كأنه قال ذلك ربنا أو انت ربنا ويصح فيه الكسر على البدل من الاسم في قوله الحمد لله انتهى كلامه ٥

وفيه قول ثالث ان يكون قوله غير مكفي ولا مودع للحمد كأنه قال حمدا كثيرا غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عن هذا الحمد وقوله ولا مودع أي غير متروك وعلى هذا القول فيكون قوله غير مكفي معناه غير مصروف وقلوب عن جهته كما يكفي الإناء بل حمد على وجهه الذي يستحقه ولي الحمد واهله ويليق به ولا ينبغي لسواه واما اعراب ربنا فالوجوه الثلاثة والاحسن في رفعه ان يكون خبرا مقدما مبتدا وقوله ولا مستغنى عنه والاحسن في جره ان يكون بدلا من الضمير المجرور في عنه والاحسن في نصبه ان يكون على المدح صفة لاسم الله تعالى وسمعت شيخنا تقي الدين ابن تيميه قدس الله روحه يقول في معنى هذا الحديث المخلوق اذا انعم عليك بنعمة امكنك أن تكافيه ونعمه لا تدوم عليك بل لابد ان يودعك ويقطعها عنك ويمكنك أن تستغني عنه والله عز وجل لا يمكن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)